كيـــف تُقرأ العلاقـــة بين إيـــران والعرب

في مؤلفهـا الموسـوعي «الفرس.. إيـران في العصور القديمة والوسـطى والحديثة» Homa Katouzian،2009 by Yale University Press ، كتبـت هوما كاتوزيان: «إن كتابة تاريخ تحليلي لإيران قد تؤدي مجازيًا إلى عقاب مشابه لما قاله سـعدي (هو الشـاعر الإيراني سعدي شيرازي، عندما اقتبس مقولة أحد وزراء الإمبراطور الساساني، أنوشروان «أن تكتب رأيًا لا يسمح به الحاكم هو أن تسفك دمك بيديك»)، قد لا يصل الأمر في الواقـع إلى إراقة دم حقيقي، بيد أن هناك مجازفة في إراقة الدم المعنوي والفكري وحتى السياسي على ساحة الاختلاف في الرأي والنقاش والنقد...» (ترجمة أحمد حسن المعيني– 2014 لبنان)، وهنا تعبّر المؤلفة الإيرانية عن حقيقة، غير متداولة كثيرًا، حـول المجازفـة بكتابة تاريخ «الفرس»، الذي يعـد من الصعوبة التي تصل إلى درجة المستحيل؛ لأن ما يتوافر من مصادر لهذا التاريخ يأخذ الباحث إلى كهوف مظلمة لا قرار لهـا، وإلى دهاليز من الأسـاطير والخرافـات المدمجة مع بعض الوقائع من دون أي فواصل بينها، ولعل الباحـث الإيراني هو الأكثر معرفة بخطورة الدخول في هذه المجازفة.

وهنا تؤكد المؤلفـة هوما كاتوزيان هذه الحقيقة بقولها إنه حتى «وقت كتابة هذه السطور (2009) مازالت إيران طرفًا مثيـرًا للجدل في المجتمـع الدولي، إلى درجة أن كل دولة وعرق ومجتمع له رأي خاص في إيران قد يكون شديد الاختلاف مع آراء الآخرين. بل إن الإيرانيين أنفسهم منقسـمون جدًا، سـواء أولئك الذين في داخل إيران أو في المهجر الإيراني، وكل مجموعة وطبقة لهـا تصوّرها الخاص عن هـذا البلد وتاريخه، الـذي يختلف بدرجة أو بأخرى عن تصورات الآخرين» (المصدر السابق).

وبناءً على هذه الحقيقة التي يؤكدها الفرس بأنفسـهم، يمكـن وصف تاريخ علاقة إيران مع العرب بـ«علاقة معقدة»، تتأرجح بين التقارب والصراع على مدى آلاف السـنين؛ وإن جذور هـذا التعقيد غير معروفة، عدا في بعض السـرديات الفارسـية من دون توثيق علمي؛ أي هي سـرديات غير علمية يحفظها ويتداولها الفرس فيما بينهم، ما يجعل من الصعب الحصول عليها من المحافل غير الفارسية.

وفـي الجانب الآخر، بمقـدار ما يتم وصف هـذه العلاقة بأنها ليسـت قَدَرًا تاريخيًّـا حتميًّا، بل هـي نتاج ظروف سياسـية نسـبيًّا، إلا أن الوقائع تؤكد أن هـذه العلاقة المعقدة قـدر تاريخي حتمي، مـا يتطلب البحـث في جذورها واسـتيعاب تفاصيلها، ودراستها كحالة سوسيوأنثروبولوجية، عسى أن يُستنتج منهـا ما يجنبنـا المزيد مـن الحروب والصراعات المسـتمرة منذ نشأة دولة الفرس، وبدء الجوار الجغرافي.

وهنا نتلمس سؤالنا المحوري: لماذا هذا العداء الإيراني المستمر تجاه العرب، رغم أن العرب لم يملكـوا، ولا يملكون، مشروعًا وجوديًّا أو غيره، ضد إيران، بل هم في موقف دفاعي دائم؟

ولمـاذا تمـارس إيران العـداء مع جيرانهـا العـرب، في غـرب وجنوب حدودهـا، وتُمـارس البراغماتيـة والدبلوماسـية مع جيرانها الآخرين، في شرق وشمال حدودها؟

العداء العرقي والديني كان الأساس

بدأت العلاقة بين الفرس والعرب منذ العصر الأخمينـي (625 ق.م.)، أي قبل مـا يقارب ثلاثة آلاف عـام (عمر الدولة الفارسـية)، وقد اتسـمت في معظمها بالتفاعل المستمر، إذ كان الفرس ينظرون إلى العـرب كقبائل؛ وكحلفـاء محتملين تارة، وكقوة بحاجة إلى الردع تارة أخرى، بهدف الهيمنة والصراع على النفوذ.

مع مجيء الساسـانيين (224 ق.م.) وقيادة الملك شـابور الثاني، اسـتمرت سياسة النفوذ الفارسي في منطقة الخليج العربـي بحملات هجومية، وسياسـات فرض النفوذ عبر القبائل العربية، أبرزهم المناذرة، وهم سلالة عربية حاكمة (بلاد الرافديـن)، حاربوا ضـد البيزنطيين، ووقعوا تحت هيمنة الساسانيين.. ويبرز مـن هذه الفترة أن الصـراع من الجانب الإيراني كان علـى النفوذ، كما كان قائمًا على عداوة عرقية ودينية.

يمكن إيجاز نمط العلاقة وصيرورتها هنـا، بأن العـداء بين إيـران والعرب بـدأ تاريخيًّا نتـاج ظروف سياسـية وأيديولوجية وعرقيـة، وكان محورها بناء الدولـة الفارسـية الأولى، بخلفية تاريخية تتضمن صراعات وتحالفات، إلا أن التحول الجذري في هذه العلاقة حدث مع ظهور الإسـلام، ووصولـه إلى بلاد فارس بعد إسقاط الدولة الساسانية في المدائن (بلاد الرافدين)، ما حوّل التنافس إلى صراع أعمق حول الهوية والشـرعية والنفوذ.

○ بقلم:
سميرة بن رجب.

إنَّ نمط السـلوك الإيراني العدائي، الذي يظهر دائمًا وكأنه سـعي دائم نحو الهيمنة ورفض العيش بسلام مع العرب، هـو نتيجة معقـدة لعوامـل تاريخية وسياسية وأيديولوجية عميقة من صنع العقل الفارسـي، تحول إلى قَدَرٍ تاريخي حتمي.

إيران ليست دولة «عاقلة» بالمفهوم العربي للعقلانية، بل دولة تعيش حالة من «البارانويا التاريخيـة»، تمزج بين الخوف الوجودي والطموح الإمبراطوري، وهذا ما يجعلها تتصرف بعدوانية تجاه العرب، رغم عدم وجود أي مشروع عربي ضدها... والعرب في هـذه المعادلة هم ضحايا استراتيجية إيرانية مرسومة، لا ردود فعل على تهديدات عربية.

من العصر الإمبراطوري إلى الجمهوري الإسلامي

إذن السـلوك الإيراني تجاه العرب هو امتداد لشعور إمبراطوري متجذّر في المخيال الفارسي، يمكن تتبعه منذ نشأة الدولة الفارسية، عبر العصور الفارسية القديمة (من الأخمينية حتى الساسانية)، ونظرتهـا إلى العرب كقبائل هامشـية، وكانت تسعى لفرض سيطرتها على طرق التجارة والموارد فـي الجزيرة العربية والخليج. امتدت هذه الحروب والصراعات إلى العصر الصفوي (1736–1501) الذي اسـتُخدِمَ فيه المذهب الشـيعي كأداة سياسـيَة لتمييز الصفوية عن الخلافة العثمانية السـنية، وإعادة إنتاج العداء تجاه العرب كحاضنة للسـنة، فجعلت من «العـداء للعرب» جـزءًا من هويتها الدينية والسياسية... وصولا إلى الفترة البهلوية (1979–1925)، التي اسـتمرت فيها النزعة الفارسية القومية، مع تخفيف العداء المذهبي والتركيـز على الهيمنة الجيوسياسـية في الخليـج العربي... ثم مشروع الثورة الإسـلامية (1979)، القائمة علـى نظرية «المسـتضعفين» و«تصدير الثورة»، الـذي أعطى للعداء غطـاءً أيديولوجيًّا جديدًا (ديني)، وأعاد إنتاجه بصورة أكثر تطرفًا.

الجمهورية الإسلامية.. مشروع أيديولوجي

رسـم نظام الثـورة الإسـلامية أيديولوجية تصدير الثورة كمشـروع سياسـي كوني، واسـتمر وتحول إلى اسـتراتيجية الدولة بهدف نشر النفوذ والهيمنة على المجتمعات الإسـلامية، واعتبـار النظـم العربيـة، وخاصة المَلَكيات الخليجية، غير شرعية، ويجب إسقاطها.

ومن أجل هذا الهـدف أعادت إيران تعريـف الصراع ليس كصـراع قومي (فارسـي–عربي)، بـل كصـراع بين «المسـتضعفين» و«المسـتكبرين» بحسـب مصطلحاتها، وفـي هذا الإطار جعل من العـرب، وخاصةً الخليجيين، عدوًّا أيديولوجيًّا، وليـس مجرد جار، واعتبارهـم نموذجـا للنظـام «غير الإسلامي» الذي يجب محاربته.

التفسير الجيوسياسي.. الهيمنة الإقليمية

بغض النظـر عـن الأيديولوجيا، فإن إيران تنظـر إلى المنطقة من منظور صفْـري؛ أي أن أي مكسـب للعرب هو خَسارةَ لإيران، والعكس صحيح... كما تعتبر محيط الخليـج العربي هو منفذ إيران الحيوي للنفط والغاز، وأي هيمنة عربية عليـه تهدد المصالـح الحيوية الإيرانية.

وتمكنت إيران بعد احتلال العراق من نشـر نفوذها المهيمن الأكبر اتساعًا في المنطقة العربية (العراق، سوريا، لبنان، اليمن)، فيما أطلق عليه «الهلال الشيعي» كمشـروع اسـتراتيجي مكتمل يحقق العمق الجغرافي والتفوق الديموغرافي فـي مواجهة العرب، ويكسـر الحصار الجيوسياسي المفروض عليها.

من كل هذا السـرد يمكن اسـتنتاج الرؤيـة الإيرانية الحديثـة لجيرانها العرب، بأنهم ليسـوا قوة منافسة فقط، بـل هم «الـذراع» القـوي لأعدائها في المنطقة، لذا يجـب إضعافهم وتفكيكهم عبر إشـعال حـروب داخليـة وإدامة الصراعات المذهبية.

تفسير المنطق الإيراني المختلف

يؤكد المؤرخـون من زاوية المنطق العربي أن العداء الفارسي التاريخي ضد العرب يبدو غيـر منطقي؛ إذ إن العرب، عبر التاريخ، لم يملكوا مشـروعًا ضد إيران.

لكن المنطق الإيراني، كما يفسـره أغلب مَن حاولوا دراسة السلوك الإيراني الحديث، يقوم علـى أن إيران تؤمن بأن العرب والغرب يعملون معًا لتدميرها... وإنـه، حتى لو لم يفعل العرب شـيئًا، فهـي تتعامل معهم وفق «مبدأ الشـك» و«العداء المسبق»، وهذا نابع من نظرية الشك والتهديد الوجودي الدائم في العقل الفارسي.

بجانب أن مشروع الهيمنة لا يحتاج إلى عـداوة مسـبقة، بل إلى اسـتغلال الفـرص؛ وأن إيران تنظـر إلى العالم العربي كفضاء مليء بالثغرات، فتتدخل لاستغلال الفرص من خلال هذه الثغرات من دون انتظار تهديد عربي.

وبالمحصلـة يمكن قـراءة العداء الإيرانـي للعرب بأنه امتدادٌ للشـعور الإمبراطـوري الفارسـي القديم، وأنه «أسـلوب حياة» في كل نظام حاكم في إيـران، و«نمـط اجتماعي» فـي الفكر الفارسـي... وبحسب المناهج الدراسية الإيرانيـة، ومنهجياتهـا الثقافية، هذا العداء يمنح الشـرعية للنظام الإيراني داخليًّا، ويوحد الإيرانيين خلف قيادتهم، ويبرر التضحيـات الاقتصادية... ولو توقف العداء، لتوقف النظام.

sr@sameerarajab.net

مع انطلاق المبادرة اليوم..

«السـبت البنفسجي» رسـالة حضارية لترسـيخ الشمولية وجعـل ذوي الإعاقـة شـركاء حقيقييـن في التنميـة

خبـراء: البحريـن تعـد نموذجـا يحتـذى بـه فـي الدمـج والإتاحـة

كتبت: لمياء إبراهيم

أكد عادل سلطان المطوع رئيس مجلـس إدارة المركز البحرينـي للحراك الدولي أن نجاح المبـادرات المجتمعية في الـدول المتقدمة لا يُقاس بعدد الفعاليـات المُنظمة، بل بالأثر المسـتدام الذي تتركه في حياة الأفراد، مشيراً إلى أن مبادرة «السـبت البنفسجي» التي أطلقتهـا وزارة التنمية الاجتماعيـة تماشـيا مـع المبادرة الخليجية، تمثل دلالة عالمية ورسالة إنسانية راقية تدعـو إلى بناء بيئـات أكثر شـمولاً، وتمكين الأشخاص ذوي الإعاقة ليكونوا شـركاء حقيقيين في الحياة اليومية لا مجرد مستفيدين من الخدمات.

وأشاد المطوع بالإنجازات والخطـوات المتقدمـة التي حققتها مملكـة البحرين في دعم حقوق الأشـخاص ذوي الإعاقـة، والتي جاءت بفضل الرؤية الإنسـانية الشـاملة لحضرة صاحب الجلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة ملك البـلاد المعظم، وبمسـاندة حثيثة من الحكومة برئاسـة صاحب السـمو الملكي الأمير سلمان بن حمد آل خليفة ولي العهد رئيس مجلس الوزراء، إلى جانب الجهود المتواصلة للجهـات الرسـمية والأهلية لتعزيـز الدمـج المجتمعي وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص.

كما أوضح أن هذه المبادرة تأتـي لتؤكد أن مسـؤولية الدمج هي تكاملية ولا تقتصر على جهـة بعينها، بل تبدأ من المؤسسـات الحكومية وتمتد لتشـمل القطـاع الخـاص، والمجمعـات التجاريـة، والفنـادق، والمطاعـم، والبنـوك، والمؤسسـات التعليمية والإعلامية، وصولاً إلى كل فرد في المجتمع.

○ زكريا هاشم.

○ عادل المطوع.

وأضاف أن تهيئة المرافق وتوفيـر وسـائل الوصول الشـامل وتدريـب الكوادر البشرية على التعامل المهني مع ذوي الإعاقة ليست مجرد إجـراءات تنظيميـة، بل هي مقيـاس للوعـي الحضاري واسـتجابة عمليـة لحق كل إنسـان في الحصـول على الخدمات باستقلالية وكرامة.

وحول تطلعات المبادرة، أشـار المطوع إلى أن النجاح الحقيقي لـ«السبت البنفسجي» يكمن في تحوله إلى مناسـبة وطنية جامعة، يحرص جميع أفراد المجتمع على المشاركة فيها، معرباً عـن أمله في أن يشـكل المواطنـون من غير ذوي الإعاقة النسـبة الأكبر من الداعمين والمشاركين، بما يعكس تحول الدمج إلى ثقافة وطنية ممارسة وليس مجرد شعار للمناسبات.

كما دعـا إلى تحويل هذه المبادرة إلى منصـة وطنية للإبداع والتنافـس الإيجابي بين مختلـف المؤسسـات لتطوير خدماتها ومرافقها، مع أهمية تكريم الجهات المتميزة فـي تطبيق معاييـر الإتاحة والشمولية، مشدداً على الدور المحـوري لوسـائل الإعلام كشـريك رئيسـي في نشر الوعي، وإبراز قصص النجاح، وتغييـر الصـور النمطيـة لتكريس ثقافة احترام التنوع الإنساني.

واختتم تصريحه مشـددا على أن مملكة البحرين تمتلك المقومـات لتكـون نموذجاً إقليمياً يُحتـذى به في مجال الدمـج والإتاحـة، من خلال استمرار العمل بروح الشراكة وتحويل المبـادرات النوعية إلى ممارسـات دائمة، مؤكداً أن «السـبت البنفسجي» هو في جوهره رسـالة تؤكد أن المجتمـع الأقوى هـو الذي يفتح أبوابـه للجميع ويمنح كل إنسـان فرصة متساوية للمشاركة والعطاء والإبداع.

ومن جانبـه، أكد رئيس جمعية التوحديين البحرينية زكريـا هاشـم، أن مبـادرة «السـبت البنفسـجي» تمثل رسـالة ملهمة تتجاوز مفهوم المبادرات الموسـمية، مشددًا علـى أن تمكين الأشـخاص ذوي الإعاقة يُعد مسـؤولية مجتمعيـة شـاملة تتطلب تضافر جهود جميع القطاعات لتحقيق التكافل والشمولية.

منوهًا بالاهتمام الواسـع الذي بات يحظى به ذوو الهمم. وأشار رئيس الجمعية إلى أن دمـج ذوي الإعاقة لا يقتصر على الأنظمة والتشـريعات فحسـب، بل يتأسـس على وعي المجتمع، وتكامل أدوار القطاع الخاص والمؤسسات الحكومية ومنظمات المجتمع المدنـي لضمـان الوصول العادل للفرص.

أوضح زكريا مـن واقع تجربة «جمعيـة التوحديين البحرينية» كيف يسهم الدعم الشامل والمبادرات الإنسانية في إحداث فـارق ملموس في حيـاة ذوي اضطـراب طيف التوحد وأسـرهم، مشيدًا بكل مؤسسة تراعي احتياجات هذه الفئة.

وشـدد على أن السـبت البنفسجي يحمل دلالات تعزز ثقافة المسؤولية المجتمعية كنهج مسـتدام يعكس نضج المجتمعـات وحرصها على إشـراك جميـع أفرادها في مسـيرة التنميـة مـن دون استثناء.

واختتم زكريـا، موجها تحيـة تقديـر للقائمين على المبادرة فـي المملكة العربية السـعودية والداعمين لها في البحرين ودول الخليج، داعيًا إلى مواصلة تبـادل التجارب والخبـرات الناجحة بين دول المجلس لرفـع جودة الحياة لهذه الفئة.

وفـد من «تمكيـن» يـزور مدينة شـباب 2030 في إطار الشراكة الاستراتيجية لدعم أنشطة المدينة

زار وفـد مـن صنـدوق العمل (تمكين) مدينة شـباب 2030، التـي تنظمهـا وزارة شؤون الشـباب بالتعاون مع الصنـدوق بوصفه الشـريك الاسـتراتيجي للمدينة، وذلك في إطار متابعة سـير البرامج التدريبيـة والمبـادرات التي تحتضنها المدينة في نسختها الخامسة عشرة، وما تقدمه من فرص نوعية لتمكين الشـباب البحرينـي وتنميـة مهاراتهم وتعزيـز جاهزيتهم لسـوق العمل.

ورافقـت نانـي محمـد بطي الوكيل المسـاعد للدعم والمبـادرات بوزارة شـؤون الشـباب، إلى جانـب عـدد من مسـؤولي الـوزارة، وفد الصنـدوق الذي ضـم كل من خالـد البيات نائـب الرئيس التنفيـذي لتصميـم وتنفيذ البرنامج، وعلياء العالي نائب الرئيس التنفيذي للاستراتيجية والرؤى، وعلي الحايكي نائب الرئيـس التنفيـذي لعمليات وخدمات التمكيـن، وعدد من منتسبي الفريق الإداري وفريق عمـل الصندوق، فـي جولة شملت مختلف مرافق المدينة، وتناولت أبرز البرامج التدريبية والمبـادرات التـي تقدمهـا المدينة، والدور الذي تؤديه في صقل مهارات الشباب، وتعزيز قدراتهم في المجالات القيادية، والتقنيـة، والإبداعيـة، بما يواكب متطلبات سـوق العمل والمهن المستقبلية.

وتضمنـت الجولة زيارة المراكـز التدريبية الخمسـة التـي تضمهـا المدينة، وهي مركز الريادة والقيادة، ومركز الفنـون والثقافـة، ومركـز العلـوم والتكنولوجيا، ومركز الإعـلام والابتـكار الرقمي، إلى جانب المدينـة الرياضية الصيفيـة، حيث اطّلـع الوفد على مستجدات سـير البرامج والـورش التدريبيـة التـي تتضمنها هذه المراكز، التي تم إعدادها بالشـراكة مع الجهات الحكومية والخاصة، بما يسهم في توفيـر تجربـة تدريبية متكاملة للشباب.

كمـا تابـع الوفـد تنفيذ عدد من المبادرات والأنشـطة المصاحبـة، التي تعكس تنوع البرامج التـي تقدمها المدينة، ودورها فـي دعـم الابتكار، وتنمية المواهب، وتعزيز ثقافة التعلـم والتطوير المسـتمر، بما ينسـجم مع أهداف وزارة شؤون الشـباب في الاستثمار في الطاقات الوطنية، وترسيخ مكانـة مدينة شـباب 2030 كمنصة وطنية رائـدة لإعداد الشباب وتأهيلهم للمستقبل.

يُذكر أن صنـدوق العمل «تمكيـن» يعـد الشـريك الاسـتراتيجي لمدينة شـباب 2030، حيـث يواصـل دعمه للبرامج والمبـادرات النوعية التي تقدمها المدينة، بما يسهم في تعزيز فرص تدريب وتأهيل الشـباب البحرينـي، وتنمية مهاراتهـم، ورفـع جاهزيتهم لمتطلبـات سـوق العمـل، انسـجامًا مع الجهود الوطنية الراميـة إلى الاسـتثمار فـي الكفاءات الوطنية ودعم مسيرة التنمية المستدامة.